الأولى ماستر - أدب شعبي - 2020 - 2021.
مقياس اللهجات - د. محمد بن عبد الواحد.
المحاضرة الأولى: علم اللهجات: مفهومه - موضوعه
و المحاضرة الثانية - وهدفه.

تمهيد:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ اللهجات لا وجود لها، بمعنى أنّه لا توجد حدود فاصلة واضحة بين لهجة وأخرى، أو بينها وبين اللّغة المشتركة التي تنتمي إليها تلك اللهجة.
غير أنّ بعض العلماء دافع عن إمكان التقسيم اللهجي للّغات.
يقول أنطوان ميّيه: من حقّنا أن نتكلّم عن وجود لهجات، فهناك لهجة محدّدة في كلّ منطقة يُلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة.
- فالتقسيم اللهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكّان الإقليم الواحد، إحساس بأنّهم يتكلّمون بصورة ما، ليست هي الصورة التي يسير عليها سكّان الإقليم المجاور؛ وعلى هذا الأساس عرّفوا اللهجة بأنّها: « مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. » (1)
أمّا العلاقة بين اللهجة واللّغة فهي علاقة الخاصّ بالعامّ، لأنّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية التي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقّف على قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللّغات وتلك البيئة الشّاملة التي تتألّف من عدّة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللّغة.

1) - رمضان عبد التوّاب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 6، 1420هـ - 1999م، ص 72.

فاللّغة تشتمل عادةً على عدّة لهجات لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغويّة والعادات الكلاميّة الّتي تؤلّف لغةً مستقلّة عن غيرها من اللّغات. >> (1)

- لقد كانت كلّ لغة يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللّغات، ثمّ حدثت عوامل كثيرة أدّت إلى موت اللّغة الأمّ أو اندثارها، وانتشار كلّ بنت من بناتها في بقعة من الأرض مكوّنة لغةً لها خصائصها ومميّزاتها الّتي تنفرد بها عن أخواتها.

وقد حدث ذلك في اللّغات السّامية المختلفة، وكلّها كانت في الأصل لهجات للأمّ الّتي ماتت واندثرت من قديم الزمان؛ وهذه هي اللاّتينيّة تُعدّ أمّا للّهجات الرّومانيّة المختلفة الّتي أصبحت بعد اندثار اللاّتينيّة لغات لها كيانها وخصائصها، وهي: الإيطاليّة والفرنسيّة والأسبانيّة؛ وكلّ واحدة من هذه اللّغات تشمل مساحات واسعة من الأرض، فانقسمت بدورها إلى لهجات، تماما كما حدث للّغات السّاميّة، ومنها العربيّة الّتي انقسمت كذلك إلى لهجات مختلفة في الماضي والحاضر. (2)

---

* علم اللّهجات:

1) - مفهومه: - لم يذكر القدماء دراسة اللّهجات بين علوم العربيّة إلاّ أنّ لهذه الدّراسة من المقوّمات ما لأيّ علم آخر، اعتدّوه من حدّ وموضوع ومسائل وهدف وغير ذلك ممّا يسمح لنا بأن نسمّيه علم اللّهجات، وهو: «علم يدرس الظّواهر والعوامل المختلفة المتعلّقة بحدوث صور من الكلام

---

1) - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربيّة، ص72.

2) - المرجع السّابق نفسه، ص73.

في لغة من اللغات ، أو هو علم يدرس
اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع
عن لغة أو لغات أخرى .. (1)

2) - موضوعه :

يتناول علم اللهجات الظواهر اللغوية التي تحدث في لغة من اللغات بسبب اختلاف اللهجات ، أو التي يكون اختلاف اللهجات سببا رئيسا فيها ، وذلك كالإبدال في اللغة العربية والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل ، وقضايا المشترك اللفظي والمتضاد والمترادف ، إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية .

كما يتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدة لهجات مرتبطة بها - قلت أو كثرت - والأسباب التي تؤدي إلى ذلك ؛ والصلة بين اللغة الأم (*) وما تفرع عنها من لهجات ، وما بين كل لهجة وشقيقتها ، وخصائص كل من هذه اللهجات في مستويات التحليل اللغوية - من أصوات وبنية تركيب ودلالة - والعلاقات التي تنشأ بينها ؛ وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف ، وانزواء أو انتشار ، وموت أو حياة ؛ وما قد يكون من سيادة إحداها على سائرها كما حدث للهجة قريش ، وبيان أسباب تلك السيادة . وقد تتحول إحدى اللهجات إلى لغة ؛ عندئذ يتناول علم اللهجات أسباب ذلك ، ويدرس آثار كل لهجة في صاحبتها ومدى تأثرها بها ، ثم استنباط القوانين التي سارت عليها اللغة في ذلك كله (2)

فهو - بإيجاز - يعرض لتطور نظام لغوي ما ، تولد عنه أنظمة أخرى جديدة لا تتطابق معه تماما ، ولا تكتفي بنفسها اكتفاء تاما ، أو لا يقر أصحابها بهذا الاكتفاء أثرا لأحوالهم المختلفة ؛

---

1) - محمد أحمد خاطر ، في اللهجات العربية - مقدمة للدراسة - ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، مصر ، ط. 1 ، 1978 - 1979 ، ص 5

2) - المرجع السابق ، ص 5

سياسيّة واجتماعيّة ودينيّة وحضاريّة وغيرها؛ ويبحث عن عوامل ذلك، ويرصد نتائجه ويُوضّح آثاره، ويُقرّر القوانين الّتي حكمت هذا التّطوّر؛ فإذا تجاوز التّطوّر هذه الحدود بأن أصبحت الأنظمة الجديدة مُكتفيّة بنفسها، وأقرّ المتكلّمون هذا الاكتفاء، صارت هذه الأنظمة لُغاتٍ مُنفصلة تنتمي إلى أصل واحد، وخرج البحث فيها عن نطاق علم اللّهجات.

3) - أهميّة دراسة علم اللّهجات:

لم تكن العلاقة بين اللّغة واللّهجة واضحة في أذهان اللّغويّين العرب، ولذلك نجد بعضهم يَعُدّ اللّهجات العربيّة لُغاتٍ مُختلفة. وقد تنبّه المُحدَثون من اللّغويّين إلى أهميّة دراسة اللّهجات العربيّة القديمة للوقوف على ما يلي:

1) - معرفة مراحل تطوّر اللّغة العربيّة، ومعالم كلّ مرحلة في تاريخها المديد - في الأصوات والمفردات والصّيغ والدّلالة، وفي الجمل والتّراكيب - ليكون فهمُنا للُغتنا أفضل ولنتمكّن من تقديم حلول دقيقة أو أقرب ما يكون إلى الدّقّة في كثير من قضاياها على مختلف المستويات؛ فنعرف لماذا ماتت أصوات وتحوّرت أخرى، وتنتفي عنها شبه الاضطراب والفوضى الّتي رُميت بها في كثير من ظواهرها ومباحثها كالاشتراك اللّفظي والمترادف واختلاف الضّبط وكثرة المصادر والجموع السّماعيّة وظواهر الشّذوذ المختلفة... (1) كلّ ذلك ونحوه تُقدّم لنا فيه دراسة اللّهجات حُلولاً نابعة من صميم

(*) - يُراد باللّغة الأمّ تلك الّتي تتفرّع عنها لُغات؛ فالأمّ كالعربيّة مع عاميّة مصر والشّام والعراق والمغرب... والأصل كالساميّة مع العربيّة والعبريّة والأراميّة...

(1) أنظر: محمد أحمد خاطر، في اللّهجات العربيّة، ص 8.

اللغة ومنهجها.

2) - ثم إن اللهجات العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقراءات القرآنية التي تمثل اللهجات جانباً كبيراً منها؛ ودراسة اللهجات دراسة واعية تفيد كثيراً في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التي رويت لنا بلا عزو إلى لهجة معينة؛ وهي خدمة جليلة للقرآن الكريم الذي قامت الدراسات العربية له وبه.

3) - كما تفيد دراسة اللهجات القديمة في معرفة إن كانت العربية الفصحى ولغة الشعر حصيلة لهجات عدة أم أنها لهجة قبيلة معينة سادت واتخذها الشعراء قالباً ينظمون فيه أشعارهم. فدراسة اللهجات تقدم تحليلاً علمياً للتكوين اللغوي للغة العربية، حيث إنها تثبت أن الفصحى عبارة عن خليط من لهجات شتى أسهمت كل قبيلة في صنعه بقدر قد يزيد أو ينقص بحسب ظروف كل قبيلة ومكانتها.

4) - بالإضافة إلى هذا افتقار اللغة العربية إلى معجم تاريخي، شأنها في ذلك شأن غيرها من لغات متقدمة، بل هي إليه أشد حاجة للارتباط الوثيق بين حاضرها ومستقبلها وبين ماضيها. ودراسة اللهجات القديمة والحديثة من أهم أسس وضع مثل هذا المعجم. يوضح الرافعي (ت 1356 هـ) علة إهمال القدماء تدوين اللهجات العربية وأثر ذلك على الدلالة التاريخية في اللغة فيقول: «ولا بد لنا من التنبيه على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة، ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام، وأشياء أصابوها في أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك؛ أما سواد ما كتبوه فقد شافهوا به العرب في بواديها وسمعوه منهم، وهو بلا ريب من بقايا اللهجات الأولى التي كانت لعهد الجاهلية؛

على أنّهم لم يُدوِّنوا من كُلِّ ذلك إلاّ كفاية الحاجة القليلة في تصاريف الكلام أو ما تنهض به أدلّة الاختلاف بين العلماء المتناظرين كالبصريّين والكوفيّين.

أمّا تدوين اللهجات على أنّها أصل من أصول الدّلالة التاريخيّة في اللّغة، فإذا لم يتنبّه له أحد - فيما نعلم - لأنّ أكبر غرضهم من جمع اللّغة وتدوينها يرجع إلى علوم القرآن والحديث ولغتها قُرشيّة، وهذه يقلّ الاختلاف فيها لأنّها حضريّة مُهذّبة، والتّحضُّر شيء ثابت ..." (1)

- ودائما مع الرّافعي الّذي يوضّح - في موضع آخر - الفوائد الّتي كان يمكن تحصيلها لو أنّ علماء اللّغة أعطوا اللهجات المنتشرة في الجزيرة العربيّة اهتماما أكبر، فقال: "ولو أنّ منهم نصّب نفسه لجمع هذه الاختلافات وإفرادها بالتّدوين بعد استقصائها من لهجات العرب وتمييز أنواعها بحسب المقاربة والمباعدة، والنّظر إلى أنساب القبائل الّتي تتقارب في لهجتها - تاريخيا - والّتي تتباعد، وتعيين منازل كلّ طائفة من جزيرة العرب، والرّجوع مع تاريخها إلى عهدها الأوّل الّذي يتوارث علمه شيوخ القبيلة وأهل أنسابها، لخرج من ذلك علم صحيح في تاريخ اللّغة وأدوار نشأتها الاجتماعيّة، ويُرجع إليه على تطاول الأيّام وتقادم الأزمنة، ولكان يُعدّ أصلا فيما يُمكن أن يُسمّى تاريخ آداب العرب؛ يُفرّعون منه ويحتذون مثاله في الشّعر وغيره من فنون الأدب؛ ولكن القوم انصرفوا عن هذا وأمثاله لاعتقادهم أصالة اللّغة، وأنّها خُلقت كاملة بالوحي والتّوقيف، وأنّ أفصح اللهجات إنّما

---

(1) - مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب (ج2)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1394هـ - 1974م، ص: 108.

هي لهجة إسماعيل عليه السلام - ، هي العربية القديمة الجيدة كما قال سيبويه (ت 180هـ) ... » (1)

5) - والدراسة المكتملة للهجات قديمها وحديثها تمكننا من اكتشاف القوانين التي سارت عليها العربية في تطورها، والعوامل التي وجهت هذا التطور وأثرت فيه، وارتباط كل ظاهرة بمسبباتها في المكان والزمان.

6) - أما دراسة اللهجات في عصرنا الحاضر - خصوصا - فلها فوائد عملية كما في المجال العسكري وأعمال التجسس وبث الشائعات والدعايات المختلفة والحرب النفسية ...

وكذلك لدى رجال الأمن حين يريدون أن يتسللوا إلى جماعة ما أو تنظيم ما أو عصابة - مثلا - فلا بد للجاسوس ورجل الأمن من دراسة لهجة المنطقة التي يجمع منها المعلومات دراسة دقيقة.

7) - البحث في اللهجات العربية الحديثة يتبين منه أنها ترجع في كثير من الحالات إلى اللهجات العربية القديمة أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى؛ فتكشف لنا دراسة اللهجات العربية الحديثة عن احتفاظها بعناصر لغوية كثيرة من اللهجات القديمة مثل كسر أحرف المضارعة (يمشي ونجلس) وتخفيف الهمز (يومن ومومن وگاس..) إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية.

8) - كما تفيد دراسة اللهجات الحديثة في تحديد الأماكن التي استقرت فيها القبائل العربية بعد الفتوح الإسلامية حيث إن كل منطقة نطقت العربية بلهجة من نزل بها من العرب.

---

(1) - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب (ج 2)، ص 116 - 117

9) - وتُمكّننا دراسة اللّهجات من نسبة أقوام مُتفرّقين في أماكن مُختلفة إلى أصل واحد، « فإذا اشترك قومٌ من الشّام وقوم من المغرب في عملة خواصّ لقبيلة واحدة، بحيث تكفي تلك الخواصّ للتّمييز والحُكم بأنّهم من أصل واحد، وليس من الأسباب الكونيّة قضى الزّمان بتفريقهم وتشتيتهم في النّواحي. » (1).

10) - تُعتبر دراسة اللّهجات ضربًا من المعرفة المجرّدة، فإن ساغ لأحدٍ أن يَتغافلها فلن يَسوغ ذلك لدارس اللّغة والمُهتمّ بأمرها.

---

(1) - حفني ناصف، مميّزات لغات العرب، المطبعة الكبرى الأميريّة - بولاق - مصر، ط(1)، 1304هـ، ص9.

الأولى ماستر (أدب شعبي) 2020 - 2021

مقياس اللهجات - د. محمد بن عبد الواحد

المحاضرتان الثالثة والرابعة.

اللهجة: المصطلح والمفهوم.

1) - بين اللغة (الفصحى) واللهجة:

* اللغة في المعاجم من مادة (ل غ و) أو من مادة (ل غ ي)، وقالوا أصلها "لُغْوة"، ووزنها (فَعَة) بحذف حرف العلة (الواو) وفتح العين؛ ومن معانيها: النطق والكلام، وما لا يُعتدّ به والخطأ والصوت. (1)

أمّا في الاصطلاح فيبدو أنّ أشهر تحديد للغة ما أورده العالم اللغوي أبو الفتح عثمان بن جنّي (392هـ) في قوله: «حدّ اللغة أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم» (2)

وهذا التعريف يشمل الجانب الصوتي للغة والجانب الوظيفي، والطابع الاجتماعي، والطابع النفسي؛ لذلك نرى أنه من أشدّ التعريفات القديمة استجابة للدرس اللساني الحديث.

وقد عُرف مصطلح (اللغة) في القرن الأول الهجري. في كتاب "اللغات في القرآن" لابن عبّاس - رضي الله عنه - (ت 68هـ)؛ ولم يطلق على الرواة - وهم القائمون بفنون اللغة - لفظ (اللغوي) إلاّ مع بداية القرن الرابع الهجري، بعد أن استفاض التصنيف في اللغة وتميّزت العلوم العربية، فصار صاحب اللغة يُعرف بها؛ ومن اللغويين القدامى نجد ابن دُريد (ت 321هـ) صاحب

---

1) - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1982، ص 686.

2) - ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص ج 1، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1952، ص 33.

المقصورة المشهورة وكتاب "جمهرة اللغة"، وأبا الطيب اللغوي (ت 351 هـ) وله كتب "الإبدال، والفرق، ومراتب النحويين"، والأزهري (ت 370 هـ) صاحب كتاب "تهذيب اللغة".

ويفضل بعض الدارسين مصطلح اللسان على مصطلح اللغة لدلالته على المعنى العام للغة، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى في ثمانية مواضع، منها قوله تعالى:

* وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين. * الأحقاف، الآية 12

وفي قوله تعالى أيضا: * وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم. * إبراهيم، الآية 4.

وكلمة "لسان" مشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية. (1)

بينما دل مصطلح "اللغة" على هذا المعنى العام، وعلى معان أخرى مشتركة مشهورة. (2)

ويعرف العالم الفرنسي "أندري مارتيني" اللسان بأنه "أداة تبليغ يحصل على مقاييسها تحليل لما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى، وينتهي إلى وحدات ذات مضمون معنوي، وصوت ملفوظ، وهي العناصر الدالة على معنى وتعرف في لغة اللسانيات (MONÈMES)؛ ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة، وهي العناصر الصوتية (PHONÈMES)، ويكون

---

(1) - عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مطبعة الجبلاوي، مصر، ط.2، 1990، ص 25.

(2) - عبد الرحمان حاج صالح، المدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد 1. ص 29.

عددها محصورًا في كلّ لسان ، وتختلف هي أيضًا من حيث (1)
ما هيّتها والنّسب القائمة بينها باختلاف الألسنة .

وقد وردت اللّفظتان « اللّغة » و« اللّسان » في شعر صفيّ الدّين الحلّيّ (ت 750هـ) :

يقدّر لغات المرء يكثر نفعه .. فتلك له عند الملمّات أعوان
فهافيت على حفظ اللّغات وفهمها .. فكلّ لسانٍ في الحقيقة إنسان

ويُراد باللّغة لفظ « الفصحى » ؛ والفصاحة هي البيان ، يُقال : رجلٌ فصيح وكلام فصيح أي : بليغ ؛ وأفصح : تكلّم بفصاحة ، وتفصّح في كلامه ، وتفاصح : تكلّف الفصاحة .
والفصيح في اللّغة : المنطلق اللّسان في القول ، الذي يعرف جيّد الكلام من رديئه ؛ والفصيح : اللّسان الطّليق والكلام العربيّ . (2)

واللّغة عند علماء الاجتماع نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعيّنة ؛ وهي عند علماء النّفس استعمال رموز صوتيّة منظّمة للتّعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر . (3)
فهي إذن - وسيلة مهمّة في الرّبط بين أفراد المجتمع والتّعبير عن شؤونهم المختلفة فكريّة كانت أم غير فكريّة ، من كلّ ما يهمّهم في حياتهم الخاصّة والعامّة .
واللّغة تشتمل - عادة - على عدّة لهجات ، لكلّ منها ما يميّزها ، وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغويّة والعادات الكلاميّة التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات .

---

(1) - عبد الرّحمان حاج صالح ، المدخل إلى علم اللّسان الحديث ، ص 32 .
(2) - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، مادة (ف ص ح) .
(3) - عبد الغفار حامد هلال ، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّرا ، ص 31 .

فاللغة -إذن- ظاهرة اجتماعية تخضع - كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الإنساني - إلى عوامل الزمان والمكان في فترات الحياة. (1)

كما أن للغة نظاما صوتيا يمتلك سياقا اجتماعيا وثقافيا له دلالته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور، يخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي يمر بها المجتمع؛ فليس باستطاعة أمة من الأمم أن تحبس لغة ما أو تجمدها أو أن تقف في تطورها، ذلك أن الأمة نفسها لا يمكنها أن تتصف بهذه الصفة. فاللغة مادة حية بمعنى أنها ليست جامدة أو ساكنة بأي حال من الأحوال. (2)

فالأصوات وصيغ الكلمات ومعانيها والتراكيب النحوية معرضة كلها للتغير والتطور على الرغم من أن تقدم اللغة يبدو بطيئا في بعض الأحيان. (3)

وهذا التغير يكون للأحسن أو إلى الأسوإ، فيكون إيجابا نتيجة تأثره بحضارة أمة من الأمم، وللنظم والعادات والتقاليد أثر في ذلك.

كما أن للمستوى الثقافي والبيئة أثرا لا يقل عن ذلك أبدا، لأن اللغة شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلم هذه اللغة، وغالبا ما تكون لتغيرات المعنى صدى لتغير الميول الاجتماعية. (4)

---

(3) - أحمد عبد الرحمان حماد، عوامل التطور اللغوي، دار الأندلس، بيروت - لبنان -، ط 1، 1983، ص 116.

(4) - إبراهيم السامرائي، في التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - ط 3، 1983، ص 27.

(1) - إبراهيم السامرائي، في التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ص 27.

(2) - خليل عودة أبو خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، [illegible] 2005، ص 45

أمّا اللّهجة فقد ورد اشتقاقها بوجهين، إذ قيل إنّها مأخوذة من: لَهَجَ الفصيل، يلهَج أمّه إذا تناول ضرع أمّه يمتصّه؛ ولَهَجَ الفصيل بأمّه يلهَج إذا اعتاد رضاعها، فهو فصيل لاهِج.

وقيل إنّها مشتقّة من: لَهِجَ بالأمر لَهْجًا ولُهُوجًا أُولِعَ به واعتاده أو أُغْرِيَ به فثابر عليه، واللّهج بالشيء الولوع به.(1)

فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضرع أمّه فيمتصّه، كما أنّه حين يتعلّم اللّغة يُكلّف بها ويُولَع كمن يتعلّق بشيء معيّن ويُولَع به.(2)

كما لم يستعمل القدامى مصطلح "اللهجة" على النحو الذي نعرفه في الدّرس اللّغوي الحديث؛ فقد شاع في كتب اللّغويين العرب القدامى ومعاجمهم مصطلح "لغة" ويعنون به اللّهجة، فلغة تميم ولغة هذيل التي جاءت في المعجمات يريدون بها اللّهجة. كما أُطلق عليها مصطلح "اللّحْن".

- كما تردّد في معاجمهم من أنّ اللّهجة هي اللّسان أو طرفه أو جَرْس الكلام؛ كما أطلقوا عليها (لُغة) أو (لُغَيّة).

ولهجة فلان لُغَتُه التي جُبِلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها.(3)

كما أنّها طريقة معيّنة في الاستعمال اللّغوي توجد في بيئة خاصّة من بيئات اللّغة الواحدة.

---

(1) - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل هـ ج).

(2) - إبراهيم محمّد نجا، اللّهجات العربيّة، مطبعة السعادة، القاهرة - مصر - د ط، 1972، ص 91.

(3) - عبده الرّاجحي، اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1. 1420هـ/1999م، ص 59.

ويُعرِّفها البعض بأنها العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة. (1)
وأدق تعريف للّهجة ما أورده إبراهيم أنيس (ت 1977 م) على أنها مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد تلك البيئة؛ وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر الاتصال بين أفراد هذه البيئات، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. (2)
وأكثر ما يميز لهجات اللغة الواحدة بعضها من بعض الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان. (3) وياتي الجانب الصوتي مباشرة دلالة المفردات، إذ تختلف اللهجات في معاني الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها.
أما القواعد سواء في ذلك ما يتعلق بالبنية المورفولوجية أو ما يتعلق بالتنظيم (syntaxe) فلا ينالها كثير من التغيير. (4)
ويشترط إبراهيم أنيس ألا تتميز لهجات اللغة الواحدة في الجانبين الأخيرين (البنية المورفولوجية والتركيب النحوي) إلا بخصائص قليلة، لا تجعل اللهجة غريبة عن أخواتها،

---

(1) - عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، ص 33.
(2) - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 9، 1995، ص 16.
(3) - أنظر: إبراهيم أنيس، المرجع نفسه، ص 17
(4) - علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 133، 134.

بعيدة عنها، عسيرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة. (1)

ومن هنا يتبين أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة بين العام والخاص أو بين الفرع والأصل. (2)

فعلى الرغم من تعدد اللهجات في مجال لغوي واحد إلا أن لكل لهجة مجموعة من الصفات المشتركة التي تميز بينها وبين جارتها. (3)

واعتبرت اللغة سلوكا لغويا لا يختلف عن اللغة العامة، وهي فوق ذلك طائفة من المميزات اللغوية ذات نظام صوتي خاص، يخص بيئة معينة.

- ويمكن حصر الصفات اللغوية التي تتميز بها اللهجة في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها وهو الجانب الفونيتيكي (Phonetic)، فقد تتميز بيئة لهجة ما بصفات صوتية تخالف اللهجات الأخرى.

وقد يكون الاختلاف في بنية الكلمة ونسجها وهو الجانب المورفولوجي (Morphology)، أو في التركيب والسياق وهو الجانب السانتاكسي (syntaxe)، أو في دلالات الألفاظ ومعانيها وهو ما يسمى بـ (Semantic). (4)

وبصورة أدق فإننا عندما نتحدث عن لهجة لمنطقة ما فإننا نقصد طريقة أداء أهلها للغة، فقد تبرز بعض الاختلافات في النطق عن غيرهم في مناطق أخرى، وقد يكون هذا في

---

(1) - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 17.

(2) - شاهين عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، القاهرة - مصر، (د ط)، 1980، ص 225.

(3) - فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة - مصر، (د ط) 1950، ص 213.

(4) - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 15.

الجوانب الصّوتيّة كإبدال القاف كافًا أو الجيم ياءً أو الذّال زايًا وهكذا.. أو في ترقيق الصّوت وتفخيمه، أو في طريقة النّبر ونظام المقاطع؛ وقد يُلمس الاختلاف في بنية الكلمة ووزنها والرّبط بين أجزائها، كما قد يكون في دلالات الألفاظ.

- انتهى -

د/ محمد بن عبد الواحد

الأولى ماستر - أدب شعبي - 2021-2020
مقياس علم اللّهجات - الأستاذ: بن عبد الواحد محمد.
المحاضرة السادسة - موضوعها: أسباب نشأة اللّهجات العربيّة.

تمهيد:

إنّ لكلّ لغة في العالم نظامًا لغويًّا يتمثّل في مجموعة القوانين والقواعد الّتي تحكم هذه اللّغة، وتخضع لها أصواتها وكلماتها وعباراتها.

وأبناء كلّ لغة يلتزمون بقواعدها وقوانينها وأحكامها ليتمكّنوا من التّفاهم وتبادل الخبرات والمعلومات، وقضاء حوائجهم بسهولة ويُسر؛ وبهذا أصبحت اللّغة ظاهرة اجتماعيّة تختلف من أمّة إلى أخرى، وهي عماد الثّقافة والحضارة وتآلف أبناء المجتمع.(1)

فاللّهجة كما سبق التّعريف بها من مادّة (ل هـ ج) بمعنى اللّسان أو طرفه، أو لغة الإنسان الّتي جُبل عليها فاعتادها، أو هي طريقة من طُرق الأداء في اللّغة، أو جرس الكلام..(2)

وهي في الاصطلاح العلميّ الحديث مجموعة من الصّفات اللّغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة.(3)

وبالتّأكيد فإنّ تفرّع اللّغة إلى لهجات عدّة يُؤدّي إلى تغيّر في النّواحي الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة تبعا للأفراد الّذين يُداولونها ويُميلونها؛ ومع ذلك فهي جميعها تَصُبُّ في بوتقة اللّغة الأمّ؛ فلهجة التّميميّين ولهجة الطّائيّين ولهجة القيسيّين كلّها تَصُبّ في بحر العربيّة الفصحى، فالعلاقة إذن - بين اللّغة واللّهجة علاقة العامّ والخاصّ

---

(1) - ينظر: د. نزيه اعلاوي و د. هاني نصر الله وآخرون، اللّغة العربيّة دراسة نظريّة وتطبيقيّة، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد - الأردن، 1999، ص 15

(2) - المعجم الوسيط، ج 2، مجمع اللّغة العربيّة، دار الدعوة للتأليف والطّباعة والنّشر والتوزيع - اسطنبول، تركيا، (ط 2)، 1410هـ/1989م، ص 841

(3) - ينظر: حاتم الضّامن، فقه اللّغة، المكتبة الوطنيّة، بغداد، العراق، 1990م - ص 10.

* أسباب ظهور اللّهجات:

يرجع السبب الرّئيسي في تفرّع اللّغة الواحدة إلى لهجات إلى انعزال بعض القبائل وتمسّكها بنُظُم وتقاليد خاصّة انفردت بها دون غيرها ممّن جاورها من القبائل، ممّا أدّى إلى التّطوّر المستقلّ لكلام كلّ قبيلة نتيجة هذا الانعزال والذي تناقله الأجيال وتتوارثه حتّى تُصبح اللّهجة صفات مُستقلّة تُنتسب إلى هذه القبيلة وتُعرف بها. يقول ابراهيم أنيس (ت1977م): "إنّ أقدم ما نستطيع تصوّره في شأن شبه الجزيرة العربيّة، هو أن نتخيّلها وقد انتظمتها لهجات محلّيّة كثيرة، واستقلّ كلّ منها بصفات خاصّة، ثمّ كانت تلك الظّروف التي هيّأت لبيئة معيّنة في شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثمّ ازدهارها والتّغلّب على اللّهجات الأخرى."(1)

ثمّ هناك سبب انتشار اللّغة في مناطق مختلفة واسعة واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من النّاس؛ وهذا يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدّي إلى التّفرّع، حيث تختلف اللّغات الإنسانيّة في مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا؛ فمنها ما تُتاح لها فرص مُواتية فتنتشر في مناطق واسعة من الأرض، ويتكلّم بها عدد كبير من الأمم الإنسانيّة؛ ويكون لذلك أسباب وعوامل، منها:

1- انتشار اللّغة في صراع مع لغة أخرى، وتقضي نواميس الصّراع اللّغوي أن يُكتب لها النّصر فتحتلّ مناطق اللّغة المقهورة، فيتّسع بذلك مدى انتشارها كما حدث للّاتينيّة التي تغلّبت على اللّغات الأصليّة لإيطاليا وإسبانيا وغيرهما، فأصبحت لغة الحديث والكتابة بعد أن كانت مقصورة على منطقة ضيّقة وسط إيطاليا (اللاّتيوم Latium)؛ وكما حدث للعربيّة إذ تغلّبت على كثير من اللّغات السّاميّة الأخرى وعلى اللّغات القبطيّة والبربريّة* والكوشيّة*

---

(1)- مجدي ابراهيم محمد إبراهيم، اللهجات العربيّة، دراسة وصفيّة تحليليّة في الممنوع من الصّرف، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 17.

حتّى بلغ الآن عدد النّاطقين بها نحو مئة مليون ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمّة.(1)

والصّراع اللّغوي يكون عادة نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات محمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلّم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللّغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة عادة إمّا القضاء على إحدى اللّغتين قضاءً يكاد يكون تامّا، أو أن ينشأ من هذا الصّراع لغة مشتقّة من كلتا اللّغتين الغازية والمغزوة تشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك. وقد حدّثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصّراع اللّغوي؛ فقد غزا العرب جهات كثيرة متعدّدة اللّغات، واستطاعت اللّغة العربيّة آخر الأمر أن تصرع تلك اللّغات في مرادها وأن تحلّ محلّها، فقد تغلّبت على الآراميّة في العراق والشّام، وعلى القبطيّة في مصر، والبربريّة في بلاد المغرب، والفارسيّة في بعض بقاع مملكة "فارس القديمة".(2)

2). أن ينتشر أفراد شعب ما، على إثر هجرة أو استعمار في مناطق جديدة عن أوطانهم الأولى، ويتكوّن من سلالاتهم بهذه المناطق أمم كثيرة السّكان، فيتّسع بذلك مدى انتشار اللّغة وتتعدّد الجماعات والنّاطقين بها ويكثر أفرادها.

3). أن يُتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنموّ الطّبيعي في أوطانها الأصليّة نفسها، فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها في الزيادة المطّردة وتنشط حركة العمران في بلادها، فتكثر فيها القرى والمدن وتتعدّد الأقاليم، فيتّسع نطاق لغتها.

(1) - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر. (د ط)، 2003، ص 111-113.

* - اللّغة الكوشيتيّة: نوع من اللغات السامية، وهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من إفريقيا وخاصّة الحبشة والصّومال.

* - أمّا اللغة البربريّة فهي نوع من اللغات السامية، وهي لغة البربر وهم السكان الأصليّون لشمال إفريقيا.

(2) - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو مصرية - مصر، (د ط)، 2003، ص 21-22.

وتبعا لتأثير هذه العوامل على اللّغة يتبيّن استحالة احتفاظ اللّغة بوحدتها الأولى أمدًا طويلا، فلا يلبث أن تتشعّب إلى لهجات، وتسلك كلّ لهجة من هذه اللّهجات منهجًا يختلف عن أخواتها.(1)

4) - أسباب جغرافية:

كلّما اتّسعت البيئة الجغرافية واختلفت الطبيعة غيرا من مكان لآخر، كأن تكون هناك جبال وأنهار ووديان، أدّى ذلك إلى تباين اللّهجة بسبب انعزال مجموعة من النّاس عن مجموعة أخرى، وبالتّالي يؤدّي هذا مع مرور الزّمن إلى وجود لهجة تختلف عن غيرها ممّن تنتمي إلى نفس اللّغة.(2) فحين نتصوّر لغة من اللّغات قد اتّسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعيّة، نستطيع الحكم على إمكان تشعّب هذه اللّغة الواحدة إلى لهجات عدّة بين بيئات اللّغة الواحدة؛ ويترتّب عن هذا التّشعّب قلّة فرص احتكاك أبناء الشّعب الواحد بعضهم ببعض، أو انفرادهم بعضهم عن بعض؛ ويتيح هذا أن تتكوّن مجاميع صغيرة من اللّهجات اللّغويّة المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور أزمنة طويلة أن تتطوّر تطوّرا مستقلا يباعد بين صفاتها ويشعّبها إلى لهجات متميّزة.. (3)

كما أنّ الّذين يعيشون في بيئة زراعيّة مستقرّة يتكلّمون لهجة غير الّتي يتكلّمها الّذين يعيشون في بيئة صحراويّة.

5) - أسباب اجتماعيّة:

كلّ طبقة من طبقات المجتمع لها لهجة معيّنة، فكلّما تعدّدت هذه الطّبقات والجماعات اختلفت اللّهجات؛ فلهجة الطّبقة العليا في المجتمع غير لهجة الطّبقة الوسطى أو الطّبقة الدّنيا. كما أنّ لهجة المثقّفين غير لهجة أصحاب المهن والحرف المختلفة.(4)

---

(1) - علي عبد الواحد وافي، نشأة اللّغة عند الإنسان والطّفل، ص 116

(2) - مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، اللّهجات العربيّة، دراسة وصفيّة تحليليّة في الممنوع من الصّرف، ص 17.

(3) - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص 26.

(4) - مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، اللّهجات العربيّة، دراسة وصفيّة تحليليّة، ص 18 - الصّفحة (04)

(5) فأبناء البيئات الزّراعيّة لهم من الظروف الاجتماعيّة ما يُخالف ظروف أبناء البيئات الصّناعيّة والتّجاريّة. وكما أنّ هناك اختلافاً بين الظّروف الاجتماعيّة في البيئات المنعزلة من الأمّة الواحدة، هناك عوامل اشتراك بينها جميعا قد ترجع إلى رابطة سياسيّة أو نعرة قوميّة أو اتّجاه خاصّ في التّفكير. (1)

6) - أسباب فرديّة:

وتتمثّل في أنّ اللّغة - وإن كانت واحدة - فهي متعدّدة بتعدّد الأفراد الّذين يتكلّمونها، ومن المسلّم به أن لا يتكلّم شخصان بصورة واحدة ولا تفترق. (2). فالأفراد غالبا ما يختلفون في النّطق. ثمّ هناك ما يُسمّى بخطإ الأطفال، حيث إنّ بعض الأطفال يُخطئون فيستعملون مقلوب الكلمة أو تغيير أماكن الأصوات والحروف في عالم الصّرف بالقلب المكاني؛ فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عمّن يُقوّم لهم ألسنتهم، صارت هذه الأخطاء - بعد مرور الزمن - عاداتٍ لهجيّة. (3) وقد لوحظ منذ وقت طويل أنّ اكتساب الأصوات اللّغويّة لا يتحقّق بصورة حصريّة عن طريق المحاكاة للأصوات التي تصدر عن المحيط، إنّما يتحقّق هذا الاكتساب عن طريق عمليّتي الانتقاء والمفاضلة بين النّاتجات التي تصدر عن النّشاط الصّوتي التّلقائي من المحيط اللّفظي للطّفل الّذي يتكوّن من كلّ الأشخاص الّذين يتكلّمون من حوله. (4)

7) - الاتّصال البشري وآثاره:

الإنسان مدنيّ بطبعه - كما يقول علماء الاجتماع - فهو في حاجة إلى مساعدة أخيه الإنسان، ولذلك فقد يتّصل بنو البشر لتبادل المنافع، كما أنّ الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثًا عن القوت أو لأسباب أخرى دينيّة أو استعماريّة.

---

(1) - إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص 20 - 21.

(2) - مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، اللّهجات العربيّة، دراسة وصفيّة تحليليّة ص 18

(3) - ينظر: حاتم الضامن، فقه اللّغة، المكتبة الوطنيّة، بغداد - العراق - 1990م - ص 46.

(4) - ينظر: مارك ريشل، اكتساب اللّغة، ترجمة: كمال بكداش، المؤسّسة الجامعية

وبديهي أنّ تلك الاتّصالات تحتاج إلى معرفة لغات الآخرين حتّى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات، أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم، وهذا يؤدّي إلى احتكاك اللّغات بعضها ببعض ونشوء صراع بينها، فالتوسّع وضرورة الاتّصال يقتضي معرفة لغات عدّة معرفة جيّدة، بما يخلق اختلالا في الأداء؛ فكثيرا ما لوحظ أنّ تطوّر اللغات يزداد بسرعة بازدياد انتشارها في الخارج وازدياد عدد الناس الذين يتكلّمونها وتنوّعهم، إذ إنّ انتشارها في أقاليم تحتكّ فيها بلغات أخرى يعرّضها لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذّاتيّة، والتأثير الذي يقع عليها في الخارج يؤدّي بها إلى التغيّر السّريع، وقد تتغلّب إحدى هذه اللّغات على الأخرى.(1)

وانطلاقا من هذه الأسباب نستطيع القول إنّ هناك عاملين رئيسيين أدّيا إلى تكوّن اللّهجات أو نشأتها، وهما الانعزال بين بيئات الشّعب الواحد، والصّراع اللّغوي نتيجة غزو أو هجرات؛ فانعزال البيئات عن بعضها البعض يؤدّي إلى نشأة اللّهجات، كذلك عندما يكون الغزو على بيئة معيّنة تتولّد ألفاظ جديدة إلى جانب البيئة المغزوة، وبالتّالي تتكوّن لهجة أخرى إلى جانب الأولى.

---

(1) - عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّرا، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د ط)، 1989، ص 34.